الشفاعة في أهل الكبائر

شبهات وردود




أبو عبدالرحمن أيمن إسماعيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net



الشفاعة في أهل الكبائر
شبهات وردود

أبو عبدالرحمن أيمن إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:102)
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:1)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:70-71)
أما بعد:
فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى، هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
ثم أما بعد..

نص الحديث:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ.

** تخريج الحديث:
أخرجه البخاري (4999) وأحمد (8845)

**معنى الشفاعة في اللغة والاصطلاح:

الشفاعة في لغة العرب مشتقة من الشفع الذي هو خلاف الوتر، فالشفع: ما كان من العدد أزواجاً.تقول: كان وتراً فشفعته بالآخْر حتى صار شفعاً.تقول: أعطيتك كتاباً ثم شفعته بآخر، أي صار ما معك زوجاً بعد أن كان وتراً.[1] قال ابن منظور: الشفع خلاف الوتر، وهو الزوج.تقول: كان وترا فشفعته شفعا.وشفع الوتر من العدد شفعا: صيره زوجا؛ والشفيع من الأعداد: ما كان زوجا، تقول: كان وترا فشفعته بآخر.[2] وسمي الشافع شافعاً لأنه يضم طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له.

** والشفاعة في الاصطلاح:
التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة؛ لأنك إذا توسطت له؛ صرت معه شفعًا تشفعه.

* والشفاعة تنقسم إلى قسمين: شفاعة باطلة، وشفاعة صحيحة.
- فالشفاعة الباطلة:
ما يتعلق به المشركون في أصنامهم؛ حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله؛ كما قال تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ [يونس: 18]، ويقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر: 3].
- الشفاعة الصحيحة ما جمعت شروطًا ثلاثة:
الأول: رضا الله – تعالى-عن الشافع.
الثاني: رضاه -تعالى- عن المشفوع له.
الثالث: إذنه - تعالى- في الشفاعة.
وهذه الشروط الثلاثة مجموعة في قوله تعالى وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَاتُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (النجم:26)، وقال تعالى يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (طه: 109)

[1] كتاب العين(1/260) وتاج العروس (ص/280)
[2] لسان العرب (8/183)

** أدلة الشفاعة:

أدلة الشفاعة الواردة في القرآن أدلة عامة، تدل بمجملها على ثبوت الشفاعة يوم القيامة.

وكل نص قرآني يفيد نفي الشفاعة عن الكافرين هو في ذاته دليل على إثباتها لأهل التوحيد، كما في قوله تعالى فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (المدثر:48) إذ لو كانت الشفاعة منفية عن الجميع لم يكن في نفيها عن الكافرين فائدة.

** وكذلك فقد جاءت الأحاديث النبوية مصرحة بذلك، فمن تلك الأحاديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا» [3].

– وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ -رضى الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "[4]

* وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ "[5]

*** الإجماع:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أجمع المسلمون على أن النبي -صلى الله عليه وسلم - يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأل الناس ذلك وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة.[6]

[3] أخرجه مسلم (339) وأحمد(21314)
[4] متفق عليه.
[5] متفق عليه.
[6] مجموعة الرسائل والمسائل (1/10)

** قال المرداوي: شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم - نوع من السمعيات قد وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي، وانعقد عليها إجماع أهل الحق، قبل ظهور الخوارج الذين ينكرون الشفاعة [7].

*** أقسام الشفاعة:

1) الشفاعة العظمى: قال تعالى وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا [الإسراء: 79] فهذا المقام المحمود هو الشفاعة العظمى.

ففي حديث ابن عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ» [8]

** وقد ذكر البخاري في صحيحه: باب قوله: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) ثم روي قول ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ " [9]

** وهذا القسم الشفاعة من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ فقد ورد في الصحيح من حديث الشفاعة الطويل: " يطُولُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى من يَشْفَعْ إِلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ،.....فيأتون آدم ونوحاً وموسي وعيسى عليهم السلام، كلهم يقول إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا غيري...فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا.[10]

* وقد ذكرشيخ الإسلام ابن تيمية وابن عبدالبر وابن جرير وغيرهم أن المقام المحمود المراد في قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) هو الشفاعة العظمى، وذكروا أن

---

[7] اللآلي البهية (ص/94)
[8] أخرجه البخاري(1475)
[9] أخرجه البخاري(4718)
[10] متفق عليه.

هذا هو المأثور في تفسير هذه الآية عن الصحابة – رضى الله عنهم، وهو قول جمهور المفسرين.(11)

2) الشفاعة لأهل الجنة لدخولها: عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: إِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ، آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ.(12)

3) شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمه أبي طالب:

* عن العَبَّاس بْن عَبْدِ المُطَّلِبِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: « هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (13) وفي رواية «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ» (14)

وهذا النوع من الشفاعة من خصائص الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقط.فالشفاعة منفية عن الكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: 48] وإنما خُص منها أبوطالب عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ لما كان يقدمه من دفاعه عن النبى صلى الله عليه وسلم.وليس ذلك لقرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (التوبة:113).وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي" (15)

---

[11] مجموع الفتاوي(14/390)و جامع البيان في تأويل القرآن(17/527)

[12] أخرجه مسلم (197) وأحمد (12420)

[13] متفق عليه. وقوله "يحوطك " فهو مِنْ الْحِيَاطَة، وَهِيَ الْمُرَاعَاة، وأما الضَّحْضَاح فهو : مَا يَبْلُغ الْكَعْب، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ خُفِّفَ عَنْهُ الْعَذَاب، وَقَدْ ذُكِرَ فِي حَدِيث أَبِي سَعِيد أَنَّهُ " يُجْعَل فِي ضَحْضَاح يَبْلُغ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغه ". فتح الباري (ج 11 / ص 210)

[14] متفق عليه.

[15] أخرجه مسلم(976)

* وروي أَبِو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ "[16].

4) الشفاعة الرابعة: وهي الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها، وهذه الشفاعة حاصلة للنبي-صلى الله عليه وسلم- ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم.
و الأحاديث في هذا كثيرة جدًّا، بل متواترة، نذكر منها ما يلي:
- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.[17]
** وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:أَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ " - قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي

[16] أخرجه البخاري(3350) قوله (بذيخ) الذيخ ذكر الضبع الكثير الشعر أري أباه على غير هيئته ومنظره ليسرع إلى التبرء منه. (متلطخ) متلوث بالدم ونحوه.
[17] أخرجه مسلم (185)

الرَّابِعَةِ - قَالَ " فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ »[18].
** وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد ذكر الصراط، ثم قَالَ: فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا.فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وفي رواية " فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي " فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ.[19]

5 الشفاعة الخامسة: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه)[20].فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك

[18] متفق عليه.
[19] متفق عليه.
[20] أخرجه مسلم (1577)

6- الشفاعة السادسة: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة.عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ-رضى الله عنها- قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ».[21]"..

** أقسام الناس مع الشفاعة: الكلام في قضية الشفاعة يدور بين الغلو و الجفو، ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: 213].فالمشركون قد غالوا في إثبات الشفاعة، فقاموا يستشفعون بالآلهة الباطلة التي عبدوها من دون الله أو معه ظناً منهم أن عبادتها وسيلة لأن يشفع لهم أصحابها عند الله عز وجل، كما قال تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (يونس:18) وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر:3) فالله عز وجل أبطل هذه الشفاعة الشركية، وحكم على من تلبَّس بها أنه كاذب كَفَّار.وعلى الجانب الآخر......يأتى أصحاب المجافاة من النفاة، وهم المعتزلة والخوارج الذين أنكروا شفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم- في العصاة من أهل الكبائر، الذين ماتوا وهم مصرِّين عليها.وإنما تبنوا ذلك بناءً على مذهبهم في تكفير فاعل الكبيرة، وأنه مخلد في نار جهنم.فيرون أن من زنى -مثلاً- ومات مصرَّاً على ذلك فإنه لا تنفعه الشفاعة، ولن يأذن الله -تعالى-لأحد بالشفاعة له.

*** وأول من أنكر الشفاعة في أهل الكبائر هم الخوارج، وذلك في آخر عصر الصحابة رضى الله عنهم، ثم سار على دربهم في إنكار الشفاعة عن أهل الكبائر المعتزلة الذين ظهروا في عصر التابعين، ووافقوا الخوارج في مآل فاعل الكبيرة، فقالوا بخلوده في النار.

[21] أخرجه مسلم (920)

** وقد أنكر الصحابة -رضي الله عنهم- مذهب الخوارج في ذلك، وحدَّثوهم بما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

فعن يَزِيد الْفَقِير-رحمه الله- قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصابةِ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ –رضي الله عنه-يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿ إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ [آل عمران: 192] وَقال ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة: 20]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ جابر رضى الله عنه: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ -؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم- الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ»، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضْعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَاكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: «فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ»، فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيْحَكُمْ أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ.[22]

* قال أنس بن مالك رضى الله عنه: «يخرج قَومٌ مِن النَّار، ولا نُكَذِّب بها كما يُكَذِّبُ بها أَهلُ حَرُورَاء»[23]

* قال ابن حجر: إن الخوارج - الطائفة المشهورة المبتدعة - كانوا ينكرون الشفاعة، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم، ويحدثون بما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك....، ثم ذكر –رحمه الله- جملة من الآثار في ذلك.[24]

---

[22] أخرجه مسلم(191)

[23] أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (14/ـ 346)، البيهقي في «البعث (467)

[24] فتح الباري(11/426)

** مما سبق يتضح لنا أن مسألة التكذيب بالشفاعة مسألة قديمة تصدى لها الصحابة رضى الله عنهم، وبيَّنوا زيفها وبطلانها.

الجواب عن أصول الشبهات التي استدل بها نفاة الشفاعة:

الأمر الأول: جملة من الأيات التي أفادت نفي الشفاعة، فقد أنزلوا على عصاة المسلمين من أصحاب الكبائر، كقوله تعالى ﴿ واتقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة: 48) و قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: 48]، وقوله تعالى ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾[الشعراء: 100]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة: 254] ومثل هذه الآيات التي يدل ظاهرها على إبطال الشفاعة.

والجواب أن يقال: أن مقتضى الفقه في الدين، واتباع سبيل المؤمنين هو الأخذ بمجموع ما ورد في الكتاب والسنة وعدم اجتزاء نصوصهما، وعدم الأخذ ببعض الكتاب والإعراض عن بعض، فإن ذلك دليل هوى ومسلك زيغ.فجميع ما استدل به نفاة الشفاعة من الآيات هي ليست أصلاً في محل النزاع.قال الإمام أبو بكر الآجري: " إن المكذّب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً، خرج به عن الكتاب والسنة، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله عز وجل أنهم إذا دخلوا النار فهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات الشفاعة: أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على هذا ".[25]

** فأما استدلالهم بقوله تعالى (﴿ مَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين ﴾ فحال من يستدل بهذه الآية على نفي الشفاعة كحال من يقول بحرمة الصلاة مستدلاً على ذلك بقول الله ﴿ فويلٌ للمصلِّين...﴾ فاجتزاء النصوص من سياقاتها هي طريقة أهل البدع.فقوله تعالى ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين ﴾ إنما هي في نفي الشفاعة عن المشركين، وسياق الآيات

[25] الشريعة (3/1203)

يدل على ذلك، فقد قال تعالى قبلها ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ
* بل لنا أن نقول أن هذه الآية دليل عليهم، فلما نفي الله – تعالى – الشفاعة عن الكافرين دل ذلك على وجوده لمن سواهم، وإلا لما كان في نفيهم عنهم فائدة.قال الذهبي: قال الله في حق الكفار: فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمفهوم أن غير الكفار تنفعهم شفاعة الشافعين.[26]

** وكذلك يقال في الجواب عن استدلاهم بقوله تعالى فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ فسياق الآيات يتناول نفي الشفاعة عن الكافرين، الذين اتخذوا أنداداً مع الله عزوجل.قال تعالى تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100)

** الرد على استدلالهم بقوله تعالى (واتقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر باطل؛ وذلك لأن الشفاعة المنفية في الآية الشفاعة للكافرين، ويدل على ذلك وجوه:
أولاً: إجماع المفسرين على أن المراد بالنفس في قوله تعالى: وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً... الآية هي النفس الكافرة، لا كل نفس، فهي من العام الذي أريد به الخاص.
يقول القرطبي: أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ... الآية. النفس الكافرة، لا كل نفس.
ويقول الطبري: "قوله تعالى: وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ.. الآية إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل، فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص.[27].

[26] إثبات الشفاعة للذهبي (ص/20)
[27] الجامع لأحكام القرآن(1/379) وجامع البيان في تأويل القرآن(1/23)

ثانياً: أن السباق والسياق واللاحق من المقيدات والمرجحات، فالآية التي قبلها والآية التي بعدها إنما يتوجه فيها لخطاب إلي بني اسرائيل، فقد قال تعالى قبلها ﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ.... ﴾، وقال بعدها ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ..... ﴾ فتعَّين بذلك أنهم هم المعنيون بقوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾[البقرة: 123]

*** ثانياً: الرد على الأصل الثاني الذى بنوا عليه ردهم لأحاديث الشفاعة: فهم قد بنوا قولهم في رد الشفاعة عن أصحاب الكبائر على جملة من الأدلة التى أفاد ظاهرها كفر فاعل الكبيرة وخلوده في النار، وعليه فقد جعل المعتزلة " مسألة الوعيد" هي أحد أصولهم الخمسة، والتي مفادها أن المسلم إذا خرج من الدنيا بكبيرة من الكبائر دون أن يتوب منها فإنه يستحق الخلود في النار، ولا يدخل تحت المشيئة.[28]

*** الأدلة التي بنوا عليها هذا الأصل: قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾، وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا... ﴾، وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) ﴾ وقول النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ

[28] الأولى أن يقال أن القول بخلود فاعل الكبيرة في النار على التأبيد إنما هو قول جمهور المعتزلة ، لا جميعهم ؛ أما ما نقله القاضى عبدالجبار من إجماع المعتزلة على كفر فاعل الكبيرة ،وأنه مخلد في النار كالكافر ،فهذا إجماع منه فيه نظر ؛ فقد قال البغدادي " دعوى إجماع المعتزلة على أن الله سبحانه لا يغفر لمرتكبى الكبائر من غير توبة منهم غلط منه عليهم لان محمد بن شبيب البصرى والصالحى والخالدى هؤلاء الثلاثة من شيوخ المعتزلة وهم واقفية فى وعيد مرتكبى الكبائر وقد أجازوا من الله تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة" لذا فقد خص الأشعري الإجماع بأهل الوعيد منهم ، فقال (وأجمع أصحاب الوعيد من المعتزلة أن من أدخله الله النار خلده فيها) وانظر الوعد الأخروي(1/459) والفرق بين الفرق(ص/96)

فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» [29].وقوله صلى الله عليه وسلم (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)[30] ونحو ذلك من الآيات والأحاديث.

*** أما استدلاهم بقوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ فهذه الآية نزلت في اليهود بدلالة الآية التي سبقتها وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:80)، فالآية إخبار عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم، من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة كما ذكر ابن كثير في تفسيره. كذلك فقد ذكر القرطبي أن كلمة "سيئة" تعني في الآية: الشرك، كما نقله ابن جريج عن عطاء.[31]
* قال عبدالرحمن السعدي: قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ قد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم، فإنها ظاهرة في الشرك، بدليل قوله: ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذاً، وهذا لا يكون إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته. وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه.[32]
* أما استدلاهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:93) فقد استدل المعتزلة بهذه الآية على أن قتل المؤمن على وجه التعمد يستحق به الخلود في النار، ولا يمكن حمل الكلام في الآية على الكافر لأنه "من" لفظ عام، ولأن الله جعل ذلك الجزاء لهذا الفعل المخصوص. [33]

---

[29] متفق عليه.
[30] متفق عليه.
[31] انظر تفسير القرطبي (2/12) ومختصر تفسير ابن كثير (1/71)
[32] وانظر تيسير الكريم الرحمن (1/75)والمعتزلة وأصولهم الخمسة (ص/221)
[33] وهذه الآية أد الأدلة التى استدل بها القاضى عبدالجبار المعتزلي على كفر فاعل الكبيرة. وانظر شرح الأصول الخمسة (659)

وقد رد أهل السنة على هذه الشبهة من وجوه:

الأول: بأن الخلود في الآية إنما هو لمستحل القتل، فهذا كافر إجماعاً، وفي هذا يقول الطبري عند تفسير هذه الآية: (قوله متعمداً) أي مستحلاً قتله، ويقول القرطبي حاكياً ما روي عن ابن عباس في معنى قوله تعالى(متعمداً) أنه قال: متعمداً أي مستحلاً لقتله، وهو ما يؤدي إلى الكفر إجماعاً، والكافر مخلد في النار.[34]

الثاني: أن القول بخلود شخص في النار – ومن ذلك القاتل عمداً - فإن هذا لابد فيه من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، ومن هذه الموانع التي تمنع من الخلود في النار أن يموت القاتل على التوحيد، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾، وقوله تعالى ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم -: " إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ")[35] ومثل هذا الجواب يقال في كل دليل نص على خلود فاعل الكبيرة في النار.

** ومما يدل على أن لفظ الخلود في حق أصحاب المعاصي ليس على ظاهره أن قوله صلى الله عليه وسلم (مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) قد جاء في حديث آخر يبين أن قاتل نفسه ليس بكافر: روى جابر - رضي الله عنه – أن رَجُلاً فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ في هَيْئَة حَسَنَة، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ»[36]

[34] جامع البيان في تأويل القرآن(6/91) والجامع لأحكام القرآن(5/334).
[35] متفق عليه. والمراد: تحريم التخليد، أو تحريم دخول النار المعدة للكافرين، لا الطبقة المعدة للعصاة.
[36] أخرجه مسلم(116)

** قال النووي: في هذا الحديث حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر، ولا يقطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة. وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبائر في النار[37]

*** وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) فتأويله على الكفر الغير مخرج من الملة.

* ذكر الشالنجي أنه سأل أحمد بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها بجهده أي يطلب الذنب بجهده إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم؛ هل يكون مصرا من كانت هذه حاله؟ قال: هو مصر مثل قوله: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام ومن نحو قوله: (ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) ومن نحو قول ابن عباس في قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، فقلت له: ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة مثل الإيمان بعضه دون بعض ا.هـ.[38]

* قال أبوعبيد: وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي، فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفرا ولا شركا يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها: أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار.ا.هـ.[39]

* وهذا ما دلت عليه الأدلة الأخرى التى أبقت على مسمى الإيمان والأخوة بين المتقاتلين، في قوله تعالى إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا... ، وقوله عز وجل إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

* قال ابن حزم: حجة قاطعة أيضا على المعتزلة أيضا المسقطة اسم الإيمان عن القاتل وعلى كل من أسقط عن صاحب الكبائر اسم الإيمان وليس لأحد أن يقول أنه تعالى

[37] شرح النووي على مسلم (2/132)
[38] مجموع الفتاوي(7/254)
[39] الإيمان لأبي عبيد(ص/93)

إنما جعلهم إخواننا إذا تابوا لأن نص الآية أنهم إخوان في حال البغي وقبل الفئة إلى الحق.[40]
** وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ »[41]. قال ابن حجر معقباً على هذا الحديث: وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه ومعاوية ومن معه بشهادة النبي-صلى الله عليه وسلم- للطائفتين بأنهم من المسلمين ومن ثم كان سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث قوله من المسلمين يعجبنا جداً.[42]

** يؤيده: عن أنس بن مالك -رضي اللَّه عنه-، عن النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي"[43].وفي حديث - أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» [44] فدل الحديث على عدم كفر صاحب الكبيرة، الذى مات مصرَّاً عليها؛ وأن مآله إلى الجنة، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه. كما جاء ذلك مفصلاً في حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه – أنه صلى الله عيه وسلم قال لأصحابه: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»

---

[40] الفصل في الملل (3/132)
[41] أخرجه البخاري(2704)
[42] فتح الباري(13/66)
[43] أخرجه الترمذي (2435) وأبوداود(4739)وأحمد(13222) قال ابن كثير : إسناد صحيح على شرط الشيخين ، قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح. صححه ابن حبان (6468) ، وابن أبي عاصم والحاكم على شرط الشيخين.، وصححه الذهبي في رسالته "اثبات الشفاعة "، وصححه الألباني في المشكاة (5598 - 5599)والظلال (830 - 832)
[44] متفق عليه.

[45] فدلت هذه الرواية على أن مرتكب الكبيرة الذى لم يتب منها داخل تحت المشيئة، وأن وعيد الله -تعالى- في أمثال هؤلاء قابل للخُلف.

* قال المازني: فيه حديث عبادة رد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب ورد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه تحت المشيئة ولم يقل لا بد أن يعذبه.[46]

** يؤيده: لم تزل الأمة من زمن النبي – صلى الله عليه وسلم- إلى يوم الناس هذا يصلُّون على كل من مات من أهل القبلة، وإن كان من أهل الكبائر، فهذا منهم إجماع ضمني على بقاء اسم الإيمان مع كبيرته، لأن الصلاة لا تجوز على غير المؤمن بالإجماع.[47]

* قال الإمام أحمد: ومن مات من أهل القبلة موحداً يُصلى عليه ويستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه - صغيرا كان أو كبيراً - أمره إلى الله تعالى.[48]

***مما سبق يتبين لنا: الفرق بين طريقة الراسخين في العلم في تناول وفهم النصوص، وبين طريقة أهل البدع، ومفاد ذلك في قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ فأما أهل البدع فيتعلقون بما يوافق أهوائهم من نصوص المتشابه، ويغضُّون الطرف عن المحكم منها، وأما أهل العلم الذين هم أهله فتراهم يحملون المتشابه منها على المحكم فيجتمع عندهم الحق كله.

** الشبهة الثالثة: أما دعوى نفاة الشفاعة أن أحاديث الشفاعة أحاديث آحاد فدعوى مردودة على أصحابها، إذ قد نص أهل العلم على أن أحاديث الشفاعة متواترة، وممن نص

---

[45] متفق عليه.
[46] فتح الباري(1/68)
[47] الوعد الأخروي(2/516)
[48] أصول السنة (ص/60)

على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر، والسخاوي، والقاضي عياض وغيرهم.
** قال الذهبي: فمن رد شفاعته ورد أحاديثها جهلاً منه، فهو ضالٌ جاهل قد ظن أنها أخبار آحاد، وليس الأمر كذلك، بل هي من المتواتر القطعي، مع ما في القرآن من ذلك. قال الله: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)، وقال: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال: (ولا تنفع الشفعة عنده إلا لمن أذن له) ا.هـ[49]
- قال الباقلاني: والأخبار في الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها، وهي كلها متواترة متوافية على خروج الموحدين من النار بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله، وإن اختلفت ألفاظها، وقد أطبق سلف الأمة على تسليم هذه الرواية وصحتها مع ظهورها وانتشارها. ولو كانت مما لم تقم الحجة بها لطعن طاعن فيها بدفع العقل والسمع لها على ما يقوله المعتزلة، ولكانت الصحابة -رضى الله عنهم- أعلم بذلك وأشد تسرعاً إلى إنكارها، وفي العلم بفساد ذلك دليل على ثبوت خبر الشفاعة وبطلان قول المعتزلة.[50]
قال القاضي عياض: وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المسلمين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها.[51] * قال الشيخ التاودي في حواشيه على الصحيح: وقد نظمت ذلك فقلت:

مما تواتر حديث من كذب...ومن بنى الله بيتاً واحتسب
او رؤية شفاعة والحوض...ومسح خفين وهاذي بعض.[52]

*ثم يقال ها هنا: ولو تزلنا وقلنا أن أحاديث الشفاعة أحاديث آحاد فإن القول بالتفريق بين الأحاديث المتواترة والآحاد في الاحتجاج في العقائد قول باطل مُبتدَع مُحْدَث، لا أصل له في الشريعة، لم يعرفه السلف، ولم ينقل عن أحد منهم. بل هذا تفريق مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة [53].

---

[49] إثبات الشفاعة للذهبي(ص/20)
[50] تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل (ص/419)
[51] شرح مسلم" للنووي(3/ 31)
[52] نظم المتناثر من الحديث المتواتر(ص/19)

قال ابن القيم: وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تَـزَل تحتج بهـذه الأحـاديث في الخَبَرِيَّات، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات.[54] كـذلك فقـد نقـل مثـل هـذا الإجماع الشافعي في الرسالة وابن عبدالبر في التمهيد.

** فـإذا مـا سـألت: ومـا الـذي حمـل أهـل البـدع على رد الاحتجاج بأحاديث الآحاد في الاعتقاد خاصة؟
* فالجواب ما قاله ابن القَاصّ: وإنما دفع خـبر الآحـاد بعض أهل الكلام لعجزه - والله أعلم - عن علم السنن، زعم أنـه لا يقبل منها إلا مـا تـواترت بـه أخبـار من لا يجـوز عليـه الغلـط والنسيان، وهذا عندنا منه ذريعة إلى إبطال سـنن المصطفى صلى الله عليه وسلم.[55]
** وهل نقلت إلينا رؤوس وأصـول مسـائل الاعتقـاد إلا بنقـل الآحاد؟!!!
قال ابن حبان: من تنكَّبَ عن قبول أخبـار الآحـاد فقـد عمـد إلى ترك السنن كلها، لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحـاد.[56]

*** ومن الشبهات العقلية التي استدل بها نفاة الشفاعة:
قول القاضي عبد الجبار: لقد دلت الـدلائل على أن العقوبـة تستحق على طريق الدوام، فكيـف يخـرج الفاسـق من النـار بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، والحال ما تقدم؟!

* وقد رد أهـل السـنة على هـذه الشـبهة العقلية: بـأن الأدلـة الدالة على دوام العقوبة عامـة، وأدلـة إثبـات الشـفاعة لأهـل الكبائر خاصة، والخاص مقدّم على العام، فوجب القطـع بـأن

[53] وقد فصلنا القول في هذه المسألة بأدلتها في رسـالتنا "البيـان الأثيث في قواعد علم الحديث"
[54] الصواعق المرسلة(2/412)
[55] الفقيـه والمتفقـه (ص/ 281) وابن القـاص هـو أحمـد بن أبي أحمـد الطبري، أبو العباس الإمام الفقيه، شيخ الشـافعية، تلميـذ أبي العبـاس بن سريج، قال ابن خلكان: كان إمام وقتـه في طبرسـتان، تـوفى سـنة (335 هـ)
[56] مقدمة صحيح ابن حبان (1/156)

النصوص التي دلت على الشفاعة مقدمة على العمومات الدالة على دوام العقوبة.[57]
* كذا يقال: أن هذه الشبهة هي نتيجة قد بنيت على مقدمة باطلة، هذه المقدمة أن صاحب الكبيرة مآله إلى الخلود في النار، وهذا مما سبق بيان بطلانه، وإذا فسدت المقدمات تبعتها النتائج.

*** ومن شبهاتهم العقلية في رد الشفاعة عن أهل الكبائر:
أن الأمة مجمعة على أنه ينبغي أن نرغب إلى الله تعالى في أن يجعلنا من أهل شفاعته عليه السلام ويقولون في جملة أدعيتهم: " واجعلنا من أهل شفاعته "، فلو كان المستحق للشفاعة هو الذي خرج من الدنيا مصرا على الكبائر لكانوا قد رغبوا إلى الله تعالى في أن يختم لهم مصرين على الكبائر!!![58]

** والجواب من وجوه: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: " أَنَا فَاعِلٌ،.....[59].فهل أنس -رضى الله عنه- قد رغب إلى الله -تعالى- أن يموت مصرّاً على الكبائر؟؟!! وهل يقره الرسول - صلى الله عليه وسلم -على ذلك؟؟!!! 2) أن الشفاعة كما تكون في أصحاب الكبائر، فهى ذلك -كما سبق ذكره - حاصلة لأهل الإيمان في رفعهم في الجنة، وفي استفتاح أبواب الجنة، وفي دخول الجنة بغير حساب.
3)الجواب الثالث: وهو ما نص عليه القرطبي، قال رحمه الله: إنما يطلب كل مسلم شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويرغب إلى الله في أن تناله لاعتقاده أنه غير سالم من الذنوب ولا قاسم لله سبحانه بكل ما افترض عليه، بل كل واحد معترف على نفسه بالنقص فهو لذلك يخاف العقاب ويرجو النجاة، وقال صلى الله عليه وسلم (لا ينجو أحد إلا

[57] نقد الأصول الخمسة للمعتزلة (ص/243)
[58] التفسير الكبير(3/497)
[59] أخرجه أحمد (12848)،وانظر الصَّحِيحَة (2630)

برحمة الله تعالى فقيل ولا أنت يا رسول الله؟ فقال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) [60]

*** أمور تحصل بها شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

1) الإخلاص: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: " لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ "[61]

* قال ابن القيم: وفي قوله في حديث أبي هريرة: " أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله " سر من أسرار التوحيد، وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيدا، كان أحرى بالشفاعة، لا أنها تنال بالشرك بالشفيع، كما عليه أكثر المشركين، وبالله التوفيق.[62]

2) الحرص على تحقيق التوحيد الخالص: عَنْ أَبِي مُوسَى- رضى الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ، وَالْأَسْوَدِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَ شَفَاعَةً، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ شَفَاعَتِي، ثُمَّ جَعَلْتُهَا لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا "[63] وفي رواية (إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي - عز وجل - الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ - عز وجل - شَيْئًا ")[64]

3) الموت بالمدينة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، مَوْلَى الْمَهْرِيِّ، أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ لَيَالِي الْحَرَّةِ، فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلَاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لَا صَبْرَ

---

[60] الجامع لأحكام القرآن(1/380)ونقد أصول المعتزلة (ص/244)
[61] أخرجه البخاري (99)
[62] عون المعبود (10/ 259)
[63] أخرجه أحمد(19735) وسنده صحيح.
[64] متفق عليه.

لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلَأْوَائِهَا، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لَا آمُرُكَ بِذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا، فَيَمُوتَ، إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا - أَوْ شَهِيدًا - يَوْمَ الْقِيَامَةِ [65].وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمتْ بها، فإني أشفع لمن يموت بها»[66]

4) دعاء ما بعد الأذان: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ- رضى الله عنهما- أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».[67]

5) كثرة السجود: عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ – رضى الله عنه-قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْفَعَ لِي إِلَى رَبِّكَ فَيُعْتِقَنِي مِنَ النَّ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي: " إِنِّي فَاعِلٌ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ " [68]

*** أَمَاكَنُ حُصُولِ الشَّفَاعَة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: " أَنَا فَاعِلٌ "، قُلْتُ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَسُولَ الله؟، قَالَ: " اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ "، قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ

[65] أخرجه مسلم (1378) قوله (لأوائها) قال أهل اللغة اللأواء الشدة والجوع. قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (شفيعا أو شهيدا): أو بمعنى الواو أو للتقسيم، أي شفيعا للعصاة منهم، وشهيداً للطائعين. قال القاضي عياض: إن هذا الحديث رواه جابر وسعد وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبي عبيد رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الأظهر أنه قاله صلى الله عليه وسلم هكذا. وانظر شرح النووي على صحيح مسلم(9/137)

[66] أخرجه الترمذي(3917) وصححه الألباني.

[67] أخرجه مسلم (384)

[68] أخرجه أحمد(16579) وحسنه الألباني.

عَلَى الصِّرَاطِ؟، قَالَ: " فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ "، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟، قَالَ: " فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".[69]

*** وختاماً: وتبقي مسألة الشفاعة أحد أهم العلامات الفارقة بين أهل السنة وأرباب البدع، فترى أن كل من صنَّف في معتقد أهل السنة يسطر هذه المسألة ويسوقها بأدلتها، ويبين زيف من زاغ عن سبيلها، ويوضح أن من نفاها إنما بني قولها على سراب يحسبه الظمآن ماءً.ألا يخشى هؤلاء أن يحرموا فضل الله ورحمته بعباده، ألا أن يحرموا من يشفع لهم يوم القيامة.

عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: من كذَّب بالشفاعة فلا نصيب له فيها.[70]

** قال أبو بكر ابن أبى عاصم: والأخبار التي روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فيما فضله الله به من الشفاعة، وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه، أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حوت على ما اقتصصنا، والصاد عن الأخبار الموجبة للعلم المتواترة كافر، وقد ذكرناها...ما دل علي عقده من الكتاب. جعلنا الله وكل مؤمن بها مؤمل لها من أهلها.ا.ه[71]

تم بحمد الله.

---

[69] أخرجه أحمد (12848)،وانظر الصَّحِيحَة (2630)

[70] رواه الآجري في "الشريعة"، وصحّح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح(11/426) ومثل هذا لا يُقال بالرأي. وقد سئل الدارقطني كما في «العلل» (12/، 102) عن حديث عاصم الأحول، عن أنس، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من كذب بالشفاعة لم يكن له =منها نصيب» فقال: «يرويه هارون بن حيان، عن عاصم الأحول، عن أنس مرفوعًا، وخالفه ابن المبارك وأبو معاوية الضرير؛ فرواه عن عاصم، عن أنس موقوفًا، وهو الصواب».

[71] السنة (2/399)